

**فتوى المرجعية  
من تحريم التنباك الى الجهاد الكفائي  
مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات**

**الأستاذ الدكتور  
صباح مهدي رميض  
جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية  
قسم التاريخ**



## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي مقاربات تاريخية وتحليل النتائج والمعطيات

الأستاذ الدكتور  
صباح مهدي رميض  
جامعة بغداد - كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية  
قسم التاريخ

٣. ماحدود المقاربة بين فتوى التبناك عام ١٨٩١ والجهاد الكفائي عام ٢٠١٤ ، في ضوء مسار الأحداث ومجرياتهما في ايران والعراق.

### المقدمة

قبل قرن وعقدين من الزمان ، وتحديدأ عام ١٨٩١م صدرت فتوى المرجع الديني الكبير المجدد الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي (قدس سره)، بتحريم التبناك والتبغ في ايران رداً على منح ناصر الدين شاه القاجاري إمتياز استغلال التبغ والتبناك الى شركة بريطانية، وهذا الأجراء أوقع الضرر بالمؤمنين مما تطلب أصدار الفتوى بهدف الضغط على الحكومة والشركة الألغاء الامتياز، وهذا ما حصل فعلاً.

وفي العراق وقبل عامين من هذا التاريخ وتحديدأ في حزيران عام ٢٠١٤م جاءت فتوى المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (دام ظله) بإعلان

### الملخص

تناولت الدراسة بالعرض والتحليل التاريخي المناسب المقاربات التاريخية بين فتوى المرجع الكبير محمد حسن الشيرازي عام ١٨٩١ ، التي عرفت باسم فتوى التبناك ، وفتوى السيد السيستاني عام ٢٠١٤ ، "الجهاد الكفائي" في مواجهة قوى الشر والتكفير الممثلة بعصابات داعش الإرهابية، تتطلق الدراسة من فرضية قائمة على الأسئلة الآتية :

١. مالمعطيات التي يمكن توظيفها من خلال فتوى المرجعية في رسم خارطة طريق مناسبة في حل الإشكاليات والازمات السياسية والأمنية والاقتصادية.

٢. مالأبعاد والمضامين والمخرجات التي تمخضت عنها فتوى المرجعية في الماضي والحاضر.

## فتوى المرجعية من تحريم التنباك الى الجهاد الكفائي

ضوء مسار الأحداث ومجرياتها في البلدين، أخذين بالنظر المتغيرين الزماني والمكاني. وفي ضوء هذه الأسئلة تم تقديم مادة الدراسة وعرضها في أربعة مباحث، جاء الأول بعنوان مدخل تاريخي تعريفى لطبيعة الأوضاع في البلدين موضوع الدراسة (أيران والعراق)، وحرص المباحث على عرض الأحداث القريبة في أطرافها الزمني مع لإصدار الفتوى، بهدف حصر ذهن القارئ وتقريبه من إصدار الفتوى، وعرف المبحث الثاني بالسيرة والعطاء الفكري والمواقف الجهادية لصاحب الفتوى السيد الشيرازي (قدس سره) والسيد السيستاني (دام ظلّه) بصورة موجزة بعيدة عن الإسهاب والإطالة انطلاقاً من أن المعروف لا يعرف، وعرض المبحث الثالث طبيعة الفتوى لكلا المرجعين، ومتابعة ردود الفعل ومستوى التفاعل والتعاطي الجماهيري وسرعة الاستجابة للفتوى، وكرس المبحث الرابع لبيان النتائج وتقديم المعطيات والرؤى الاستشرافية.

والله ولي التوفيق.

أولاً: مدخل تاريخي للتعريف بالأوضاع العامة

في العراق وإيران

قبيل إصدار الفتوى

الجهاد الكفائي في مواجهة قوى الشر والتكفير المتمثلة بعصابات داعش الظلامية الإرهابية، ومما سببته من خراب ودمار اذ عاثت فساداً في مدن العراق لا سيما الغربية والشمالية، ومن ثم أعلنت عن نواياها ومخططاتها الإجرامية التي تستهدف بغداد العاصمة والمدن المقدسة، وتهديد أمن المواطنين وانتهاك مقدساتهم، فضلاً عن تزايد شرورهم بعد سيطرتهم على محافظتي الموصل وصلاح الدين، لذا جاءت الفتوى لتكون الرد الحاسم والإجراء الشجاع في إيقاف انتهاك هذه العصابات المجرمة.

تتطلب الدراسة من اشكالية مهمة تتعلق بأهمية إصدار القرار ودقة توقيته ودراسة الآثار المترتبة عليه وهذا الأمر لاشك انه في غاية الأهمية لكل المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلد، تتطلق فرضية الدراسة من خلال عرض الأسئلة الآتية:

- ما المعطيات التي يمكن توظيفها من خلال فتوى المرجعية لرسم خارطة الطريق المناسبة في معالجة الإشكاليات والأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية.

- ما الأبعاد والمضامين والمخرجات التي تمخضت عنها فتوى المرجعية الدينية بالمقارنة بين فتوى تحريم التنباك والجهاد الكفائي.

- ما حدود المقارنة بين فتوى التنباك عام ١٨٩١ وفتوى الجهاد الكفائي عام ٢٠١٤ في

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

وشركائه في الشركة المعروفة باسم (شركة التبناك الحكومية الإيرانية) (Imperial Tobacco Corporation) لمدة خمسين عاماً ويرأسمال قدره (٦٥٠) ألف ليرة إنكليزية، وكان يطلق على هذا الامتياز اسم ريجي (Regie) نسبة الى الهيئة الإدارية التي كانت تحمل هذا الاسم والتي تشكلت في طهران بعد عدة أشهر من الحصول على الامتياز<sup>(٥)</sup>.

بعد وصول ممثلي شركة التبناك الى إيران وانتشارهم في مدن البلاد قاموا بإجراءات مثيرة للجدل لا علاقة لها بأهدافهم وواجباتهم من خلال تعاملهم بقسوة مع المزارعين والعاملين في التبناك والتبناك، وهذا الأمر ولد ردود فعل غاضبة حيال الشركة وموظفيها، وانطلقت الاعتراضات الجماهيرية الواسعة التي قادها رجال الدين وكبار تجار البازار من الذين تضررت تجارتهم بشكل كبير<sup>(٦)</sup>.

ارتفعت أصوات الناس ضد الحكومة وضد الامتياز، واصبح ناصر الدين أنموذجاً للحاكم الأوتوقراطي الرجعي المحب للمال والجاه واقفاً بالضد من طموحات شعبه، وهذا الأمر أجج المشاعر الدينية ضده وأصبح لرجال الدين قاعدة جماهيرية عريضة لما يمتلكون من موقع اجتماعي ومكانة روحية عالية، فضلاً عن إمكانياتهم الاقتصادية الواسعة، لذا بدأت في نيسان عام ١٨٩١ حركات المعارضة ضد

شكل التنافس البريطاني - الروسي واجهة هامة من واجهات تاريخ إيران الحديث إبان حكم ناصر الدين شاه قاجار (١٨٤٨ - ١٨٩٦)<sup>(١)</sup>، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد كان هذا التنافس ذا طابع سياسي واستراتيجي في بداية حكمه ثم تحول إلى اتجاه اقتصادي<sup>(٢)</sup>، قائم على أهداف متعددة في مقدمتها الحصول على الامتيازات ومن ثم إغراق البلاد بمزيد من الأزمات المالية والاقتصادية ذات التأثير المباشر على الأوضاع الاجتماعية، ولم تكن الحكومات الإيرانية المتعاقبة قادرة على مواجهة تلك الأزمات على الرغم مما أطلقتها من محاولات إصلاحية.

إن زيادة حجم الامتيازات الأجنبية الكبيرة وما رافقها من تبديد ثروات البلاد من جراء قيام الشاه ناصر الدين بالسفريات العديدة الى دول أوروبا هو ووزراء حكوماته ورجال البلاط وموظفيه مما أدى إلى إرهاق كل ميزانية الدولة وتبديدها<sup>(٣)</sup>.

لقد ظهرت فكرة منح امتياز التبناك خلال مدة وجود الشاه في لندن أثناء سفرته الثالثة، فقد قيل له هناك بأنه في حالة منح حق جمع محصول التبناك والتبناك لتصنيعه وبيعه في الداخل أو تصديره الى الخارج، عبر شركة بريطانية فإنه سيضمن الرفاه والنمو الاقتصادي لبلاده<sup>(٤)</sup>، أعجب الشاه بالفكرة فمنح الامتياز في ٨ آذار ١٨٩٠ الى الماجور تالبوت (Major Talbot)

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي .....

المحتجون برقية الى الشاه أكدوا فيها أنه من غير الجائز أن تقترن حقوقهم بالأجانب وطالبوا بإلغاء الامتياز وهددوا بالمقاومة المسلحة اذا ما رفض الشاه طلبهم، وعزز رجال الدين من موقفهم عندما امتنعوا عن التدريس في المدارس، ثم توقفت الحياة التجارية في المدينة<sup>(١٠)</sup>.

وهكذا التحمت مدن الشمال مع مدن الجنوب داعية الى رفض الامتياز ووضع حد للتدخل الأجنبي في البلاد والدعوة الوطنية للمحافظة على اقتصاد الشعب الإيراني وثرواته، وهذا الأمر يستلزم تعبئة الجهود وتوحيد الخطى لضمان تحقيق الأهداف، وهنا يتطلب الأمر قيادة موحدة عليا تحظى بالقبول لدى الجميع ولها تأثير على مشاعر الناس وعقائدهم وفي الوقت ذاته تحظى بإسناد الجميع وموارزتهم، وأن تكون أوامرها وتوجهاتها مستجابة في كل مكان ومثل هذه القيادة بالتأكيد لا شخصية يمثلها ألا المرجع الديني الأعلى آنذاك الميرزا الحاج محمد حسن الشيرازي<sup>(١١)</sup> (قدس).

أما طبيعة الأوضاع في العراق وتحديداً ما بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ م، ودخول القوات الأمريكية وقوات التحالف الدولي الى أراضيها، وفي حينها استغلت الفرصة المجموعات المسلحة والمجاميع التكفيرية للقيام بعمليات متعددة استهدفت قوات التحالف تحت واجهة المقاومة والجهاد بحسب ادعائها، ولكن الحقيقة أن أكثر

الامتياز في جنوب البلاد بمدينة شيراز، إذ كان للمجتهد سيد علي أكبر - الذي أصبح ملاذ التجار المتخصصين بالتبغ والتبناك - أثر في استقطاب هؤلاء التجار وتوعيتهم وما كان منه إلا أن يرتقي المنبر ويخطب في الناس مشهراً بموقف الحكومة وبامتياز التبغ الذي من شأنه ان يجلب الضرر لاقتصاد البلد ومصالح الشعب، ومضى يعمل على إثارة الناس وتأليبهم ضد هذا الامتياز المجحف بشؤونهم الوطنية والاقتصادية؛ مما أثار نقمة الشعب وأدى الى تصاعد الاضطرابات في المدينة، وعلى إثر ذلك أغلقت البازارات (الأسواق) فيها، وعطلت تجارة التبغ والتبناك بالكامل<sup>(٧)</sup>.

امتدت الانتفاضة الى مدينة تبريز كان ذلك في شهر مايس عام ١٨٩١، إذ تحدث رجال الدين وأئمة المساجد وخطبائها بحثاً الناس على الوقوف الى جانب تجار البازار ضد امتياز التبناك وأوضحوا في خطبهم بأن هذا الامتياز هو الخطوة الأولى لبريطانيا في استعمار إيران<sup>(٨)</sup>، هذا وقد امتازت مدينة تبريز عن غيرها من المدن الإيرانية في تصاعد حدة المعارضة للامتياز بحيث أن المتظاهرين أقسموا بأنهم سيحطمون القنصلية البريطانية في تبريز اذا لم يُلغ الشاه الامتياز<sup>(٩)</sup>.

وفي اذربيجان انفجرت الاضطرابات وأعلنت الاضطرابات العامة للوقوف بوجه الامتياز، ورفع

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

على مدينتي الفلوجة والرمادي، وأعلن سيطرته أيضاً على مدن حديثة وعانة ثم توجه نحو أبي غريب وسيطر على ناحية جرف النصر<sup>(١٥)</sup>.

لا شك أن الفرص التي حصل عليها لتنظيم داعش في السيطرة على هذه المدن دفعته الى وضع خطط واستراتيجيات تهدف الى مزيد من التمدد والسيطرة على المدن الأخرى، إذ أن العاصمة بغداد ومدن العراق المقدسة لم تكن بعيدة أبداً عن مخططاته تلك.

وفي ٩ نيسان عام ٢٠١٤ سقطت مدينة الموصل بيد تنظيم داعش والقوى المتحالفة معه داخل المدينة، الأمر الذي أثار الاستغراب والدهشة لدى المعنيين بالاستراتيجيات العسكرية والسوقية والمحليين السياسيين، إذ كيف تسقط مدينة مثل مدينة الموصل خلال ساعات محددة وبدون مقاومة، وسرعان ما تنهار القوات العسكرية بمختلف صنوفها المقاتلة والساندة، وترك الآلاف من الضباط والجنود والمراتب وحداتهم العسكرية وانسحبوا انسحاباً غير منظم، مما أتاح الفرصة أمام تنظيمات داعش في فرض سيطرتها على المدينة فأسقطت مبنى المحافظة واستولت على مطار الموصل<sup>(١٦)</sup>، وفي الوقت ذاته سيطرت على الأسلحة المتروكة من المعدات العسكرية والمدافع والدبابات والمدرعات ومنصات الصواريخ وغيرها<sup>(١٧)</sup>.

تلك العمليات وجهت الى رجال الدولة والمؤسسات الحكومية والأهداف العسكرية والمدنية، ولعل ما حصل في الهجوم الإرهابي على سامراء وتفجير قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام في شباط عام ٢٠٠٦ من قبل تنظيم القاعدة ما هو إلا شاهد على ذلك<sup>(١٢)</sup>، وكان الهدف من هذا العمل الإجرامي إثارة الفتنة الطائفية، إلا أن توجيهات المرجعية وإرشاداتها السديدة فضلاً عن تدخل عقلاء القوم قد أفسدت على المجرمين ما خططوا له، على الرغم من أن تداعياتها كانت حاضرة في بعض المواقف والأحداث.

في عام ٢٠١١ تصاعدت عمليات ما يسمى بحركات الجهاد الإسلامية المتطرفة ومنها ظهر تنظيم (داعش)<sup>(١٣)</sup>، أو الدولة الإسلامية في العراق والشام، الذي تمدد جغرافياً من مناطق شرق سوريا وشمال غرب العراق، وتزايد خطره في ظل شبكة علاقات كبيرة معقدة مع التنظيمات الإرهابية المنتشرة في كل مكان من الشرق الى إفريقيا، إذ أخذ التنظيم ينافس تنظيم القاعدة في الهيمنة على الجماعات المتطرفة<sup>(١٤)</sup>. تواصل تنظيم داعش في عملياته التعرضية على مناطق غرب العراق وتحديداً على مدن محافظة الأنبار، ففي عام ٢٠١٣ حصلت اشتباكات بين تنظيم داعش الذي أفاد من بعض حواضنه في الأنبار مع القوات العراقية، واستطاع من السيطرة

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

كردستان والمحافظات الجنوبية وبعضهم الآخر خرج الى دول الجوار ومنها تركيا وإيران أو الى دول العالم الأخرى.

أقدم تنظيم داعش على عمليات السبي والاستعباد الجماعي ولعل ما حصل للنساء الأيزيديات بعد سيطرته على قضاء سنجار شاهد على ذلك، فقد اقتاد العشرات من النساء وعدّهن سبايا وعرضهن للبيع في سوق النخاسة، في حادثة لم يشهد لها العالم مثيلاً وقد أشارت منظمة ((هيومن رايتس ووتش))<sup>(٢٠)</sup>، لحقوق الإنسان الى بشاعة هذه الجريمة<sup>(٢١)</sup>.

أشارت بعض وكالات الأنباء العالمية الى أن تنظيم داعش ومن يسير في ركبه من المجرمين والقتلة هم الذين نفذوا مجزرة قاعدة سبايكر التي راح ضحيتها أكثر من (١٧٠٠) شاب قتلوا على الهوية بدم بارد في يوم ١٢ حزيران عام ٢٠١٤، وقد أدانت رئيس دائرة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة (ناني بيلاي) بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٤ هذه الجريمة النكراء وبيّنت أن هذا التنظيم يقوم بأعمال التطهير العرقي والديني في العراق، ودعت الى محاسبته والوقوف ضد هذه الجرائم المصنفة ضمن الجرائم ضد الإنسانية<sup>(٢٢)</sup>.

وفي دراسة سيكلوجية لتنظيم داعش والتي بينت أنه يستخدم استراتيجية فوبيا الخوف والرعب والرهاب ضد القوى التي تواجهه وهذه الاستراتيجية لاشك أنها تضعف مقاومة الخصم

وباحتلال مدينة الموصل التي تعد نقطة استراتيجية في مخططات تنظيم داعش الذي انطلق منها جنوباً باتجاه محافظة صلاح الدين ومركزها مدينة تكريت فضلاً عن سيطرته على العديد من المناطق ضمن حدود محافظة ديالى. إذاً بعد كل ما حققه هذا التنظيم على المستوى العسكري والعملياني، بدأ يخطط لبناء الهيكل الإداري لمنظومة ما يسمى بدولته الإسلامية فأنشأ الولايات والمحاكم وعين الأمراء والوزراء في المناطق التي فرض وجوده عليها، وبدأ يجمع الضرائب ويؤسس له موارد مالية، فضلاً عن تأسيس دوائر متعددة الأغراض من مكاتب الزواج وإصدار جوازات السفر وغيرها من الإجراءات<sup>(١٨)</sup>.

اتبع هذا التنظيم الإرهابي منهجاً قائماً على تدمير التاريخ والتراث وألغاء الذاكرة الثقافية، فدمر المواقع الأثرية في مدينة الموصل وما جاورها، ودمر التاريخ الثقافي برمته، وقتل الأقليات الدينية في العراق وذبحها وشردها وأجبرها على الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية أو القتل أو الخروج من ديار المسلمين بحسب تعبيرهم، لذا هربت مئات الآلاف من الأسر العراقية من الطوائف المسيحية والأيزيدية والصابئة فضلاً عن تهجير أبناء الطائفة الشيعية والترکمان في المناطق الشمالية ولا سيما في قضاء تلعفر<sup>(١٩)</sup>، إذ هجرت هذه الأسر الى إقليم



## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

الحسين (عليه السلام)، لقب بالشيرازي نسبة الى مدينة شيراز التي ولد فيها عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م<sup>(٢٦)</sup>، وعرف بالمجدد ايضاً، تولى تربيته خاله السيد ميرزا حسين الموسوي بعد وفاة والده وهو صغير السن، أشعر حاله بنبوغه منذ الطفولة، فرغب خاله السيد الميرزا حسين الموسوي بتوجيهه نحو الخطابة، بعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ النصوص العديدة، إذ كان سريع التعلم ولما بلغ السابعة من عمره، ودرس علوم اللغة العربية وأدبها، ثم توجه بعد ذلك لدراسة الفقه والأصول، فدرس كتاب شرح اللمعة دمشقية وهو في الخامسة عشرة من عمره، فأكمل دراسة المقدمات ومن ثم مرحلة السطوح، بعدها توجه الى مدينة أصفهان عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م لوجود مركز دار العلم فيها فواصل دراسته هناك وتلقى دروساً على يد كبار العلماء ومنهم الشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب كتاب (حاشية المعالم)<sup>(٢٧)</sup>، ثم حضر دروس السيد حسن أيادي المعروف بـ (المدرس) وأجازه وهو في عمر العشرين، فضلاً عن انه حضر دروس الشيخ محمد إبراهيم الكرياسي<sup>(٢٨)</sup>.

وبعد ان قطع المرحلة الأولى من دراسته بتفوق مشهود، تهيأ لدراسة المرحلة المتقدمة في علوم الحوزوية مرحلة البحث الخارج وعندها قرر الانتقال الى مدينة النجف الأشرف الزاخرة بالعلماء وكبار الفقهاء والمجتهدين وفي مقدمتهم

وتنقله من حالة الهجوم الى حالة المراوحة والترقب وقد تقود الى التراجع والهروب والهزيمة، ويرافق ذلك أعمال أرهايية متمثلة بالقتل الجماعي والتفجير بالمفخخات والأحزمة الناسفة، وقطع الرؤوس والقتل على الهوية وعلى أسس طائفية وعرقية ومناطقية، ولا شك أن كل تلك الأفعال تزيد من هستيريا الخوف والرعب وإضعاف المعنويات<sup>(٢٣)</sup>.

صرح الداعشي (أبو محمد العدناني) المتحدث باسم التنظيم عام ٢٠١٤، بأن أهدافهم لم تكن السيطرة على مدينة الموصل وتكريت، بل الهدف الوصول الى بغداد وهي عاصمة الخلافة كما سماها، وان تصفية الحسابات ستكون ايضاً في مدن النجف وكربلاء<sup>(٢٤)</sup>.

ومن هناك شعرت المرجعية الدينية في العراق بخطورة المشهد الأمني في البلاد وما قد يتعرض له المواطنين من خطر، أو تعرض مقدسات المسلمين الى الانهيار، لذا تصدى المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (حفظه الله)، لهذا الموقف فجاءت فتوى الجهاد الكفائي<sup>(٢٥)</sup>.

ثانياً: السيرة والاتجاهات الفكرية لمراجع الفتوى العظام:

- السيد محمد حسن الشيرازي (قدس).

هو السيد أبو محمد معز الدين الميرزا محمد حسن محمود الحسيني، ينتهي نسبه الى الإمام

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

عرف السيد الشيرازي بتواضعه وبساطته وعذوبة حديثه وشدة كرمه في استقبال ضيوفه، وكان ذو نظرة شمولية، واضعاً أهداف الإسلام ونصرتة وتطبيق مبادئه فوق كل اعتبار، لذا وصفته الدراسات التي تناولت سيرته بأنه كان إماماً وفقهياً ماهراً ومحققاً رئيساً، ورعاً ثاقب الفكر بعيد النظر، مصيباً في الرأي وذا قرى واضح يوقر الكبير ويحنو على الصغير ويرفق بالضعيف وذا سعة في مادته المعرفية<sup>(٣٥)</sup>.

قرر السيد محمد حسن الشيرازي عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م الانتقال الى مدينة سامرا والاستقرار الى جوار مرقد الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، ويرى أن في ذلك الإجراء خدمة لمصلحة الأمة والدين والمذهب، فاستقر في المدينة وتوافد عليه كبار العلماء وطلبة العلم بأعداد غفيرة<sup>(٣٦)</sup>، ولعل ما يجب أن نوضحه لماذا اتخذ السيد الشيرازي قرار الإقامة في سامراء؟ ومن المرجح أن الهدف قائم على المحافظة على وحدة صف المسلمين وبث روح الأخوة والتآلف بين الطائفتين السنية والشيعية ومن ثم القضاء على بوادر الفتنة الطائفية التي كانت تغذيها بعض الأطراف ولا سيما ان الإدارة العثمانية في المدينة كانت ضعيفة وغير قادرة على ضبط الأمور والقضاء على الخلافات إن لم تكن هذه الإدارة طرفاً فيها<sup>(٣٧)</sup>.

الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر<sup>(٢٩)</sup>، والمحقق المجدد الشيخ مرتضى الأنصاري<sup>(٣٠)</sup>، الذي يعد رائد المدرسة الأصولية الحديثة.

في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٤م وصل السيد محمد حسن الشيرازي الى مدينة النجف فتشرف بزيارة مرقد أمير المؤمنين علي بن طالب (عليه السلام)، ومنها التحق بدرس الشيخ صاحب الجواهر، ودرس الأعلام الآخرين ومنهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء<sup>(٣١)</sup>، والسيد إبراهيم محمد القزويني الحائري صاحب كتاب (ضوابط الأصول).

تأثر السيد حسن الشيرازي كثيراً بأستاذه الشيخ مرتضى الأنصاري إذ لازمه فقهاً وأصولاً، وفي الوقت نفسه كان الشيخ الأنصاري يرى في السيد حسن الشيرازي النبوغ والتفوق على أقرانه وهو مهياً للحصول على مرتبة الاجتهاد<sup>(٣٢)</sup>.

بعد ان توفى علم النهضة الفكرية وزعيم الحوزة العلمية في النجف عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس)، تعالت الأصوات على من يشغل هذا الموقع ويتصدى لأمر المرجعية، فوقع الاختيار على السيد حسن الشيرازي لما يمتلكه من مواصفات وميزات، فحصل على إجماع العلماء عند الترشيح لهذا الموقع<sup>(٣٣)</sup>، ويقول الشيخ آغا بزرك الطهراني عنه "ولم يتفق في الإمامة رئيس مثله في الجلالة ونفوذ الكلمة والانقياد له"<sup>(٣٤)</sup>.

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

الأحوال من أوله الى آخره، والتقارير، وحاشية على تجاه العباد، وتعليقه على المعاملات، وله عدد من التقارير (وهي ما يقرر من التلاميذ على محاضرات الأستاذ في درس البحث الخارج، وكان عدد تلك التقارير (٦١) تقريراً<sup>(٤١)</sup>، بلغ عدد طلبته المعروفين (٦١) طالباً حصلوا على مراتب متقدمة في الدراسات الحوزوية<sup>(٤٢)</sup>، توفي ليلة الأربعاء في العشرين من شعبان ١٣١٢ هـ، الموافق ٢٠ شباط ١٨٩٥ م، في سامراء ونقل جثمانه الى مدينة النجف الأشرف ودفن هناك<sup>(٤٣)</sup>.

### - السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

ولد السيد علي محمد باقر الحسيني السيستاني في شهر ربيع الأول عام ١٣٤٩ هـ/الموافق عام ١٩٣٠ م، في مدينة مشهد المقدسة، وترى تربية عالية المستوى في أسرة معروفة بأعلامها في حقول المعارف الدينية المختلفة، فتدرج في دراسة العلوم الحوزوية، فبدأ وهو في عمر الخامسة بمرحلة المقدمات بقراءة القرآن الكريم، ثم الدخول في مدرسة دار التعليم الديني لتعلم القراءة والكتابة، ثم قرأ الكتب العربية ومنها شرح الألفية للسيوطي، والمغني لابن هشام، والمطول للنتقازاني، ومقامات الحريري، وشرح النظام للأديب النيشابوري، وقرأ شرح اللمعة دمشقية، ثم قرأ جملة من السطوح العالية ومنها المكاسب والرسائل والكفاية عند آية الله الميرزا القزويني،

تزايدت أعداد الطائفة الشيعية في المدينة وتوافد عليها الزوار من كل حدب وصوب، فأصبحت مركزاً تجارياً نشطاً وبدأت بها حركة الإعمار والبناء وانتشرت الأسواق، وقد أسهم السيد الشيرازي في هذه النهضة العمرانية ثم أشاع روح العلم والمعرفة فأسس مدرستين لطلبة الدراسات الدينية وأشرف على دراستها ومناهجها، وظلت هذه المدارس تخرج الطلبة وترفدهم بالمعرفة على مدى واحد وعشرين عاماً مدة تواجد السيد الشيرازي فيها ١٨٧٤-١٨٩٥<sup>(٣٨)</sup>.

لا شك ان هذا النجاح والتفوق الذي حققه السيد الشيرازي قد أغاض السلطات العثمانية الحاكمة فعملت ما بوسعها على إثارة الفتنة والتحريض ضده، وزادوا من الأعمال والتصرفات التي كانت تثيره بسبب المضايقات التي يواجهها الزوار والمقيمون في المدينة<sup>(٣٩)</sup>، فشرع العلماء في النجف بما يحصل للمرجع الكبير الشيرازي فأرسلوا له وفداً عارضين عليه العودة الى النجف إلا أنه رفض ذلك<sup>(٤٠)</sup>.

وعلى الرغم من انشغاله في توجيه إدارة شؤون المرجعية ومراعاة حوائج الناس وسد متطلباتهم، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأليف، فله ثمانى كتب هي الطهارة الى الوضوء، ورسالة في الرضاع، وأول المكاسب الى آخر المعاملات في الفقه، ورسالة في اجتماع الأمر والنهي في الأحوال، وتلخيص إفادات الأنصاري في

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

الخارج في الفقه في ضوء مكاسب الشيخ الأنصاري وأعقبه بشرح العروة الوثقى، فتم له منه شرح كتاب الطهارة وأكثر كتاب الصلاة وقسم من كتاب الخمس وتمام كتاب الصوم والاعتكاف، ثم شرح كتاب الزكاة، ودرس علم الأصول<sup>(٤٨)</sup>.

كان للسيد السيستاني منهج متميز في التدريس، فهو يربط بين الفكر الحوزوي والثقافات المعاصرة ويتعمق في عرض خلفيات البحث ومن ثم توظيفه بصورة دقيقة، فضلاً عن الاهتمام بالأحوال المرتبطة بالفقه، ولعل هذا النوع من المنهج هو الأكثر حاجة لطلبة الدراسات الحوزوية، وعرف بالإبداع والتجديد والبعد عن الرتابة والتقليد ولا سيما عند تجديد صياغة المطلب الذي يتناسب مع تحبيب منهجه في التدريس بأسلوب المقارنة بين مخرجات المدارس الفكرية المختلفة<sup>(٤٩)</sup>.

أما خصائص منهجه الفقهي فأعتمد على المقارنة بين فقه الشيعة وغيرهم من المذاهب الإسلامية الأخرى، فضلاً عن الإفادة من علم القانون الحديث في بعض الموضوعات الفقهية ومنها مراجعة القانون العراقي والمصري والفرنسي عند بحثه في كتاب البيع والخيارات، فضلاً عن انه اعتمد التجديد في الأطروحة وعدم الارتكاز على التقليد والرتابة ومراعاة منهج النظرة الاجتماعية للنص، وامتاز بخبرة واسعة

وحضر دروس آية الله الميرزا مهدي الأصفهاني وآية الله الميرزا مهدي الأشثاني وآية الله الميرزا هاشم القزويني<sup>(٤٤)</sup>.

تواصل السيد في دراسته الحوزوية فحضر الدروس في حوزة قم للمرجع الكبير السيد حسين الطباطبائي البروجردي في الفقه والأحوال، وأظهر نبوغاً علمياً وهو في عمر الشباب ولما يتجاوز بعد العشرين من عمره وبعدها توجه الى مدينة النجف الأشرف في أوائل عام ١٣٧١ هـ، ١٩٥٤ م، فحضر درس العالمين الكبيرين السيد أبو القاسم الخوئي<sup>(٤٥)</sup>، (قدس) والشيخ حسين الحلي<sup>(٤٦)</sup>، (قدس)، وقد لزمهما لمدة طويلة، وصف السيد السيستاني بأنه ذي بديهة سريعة وكثير التحقيق والمتابعة، وله قوة في تحديد الإشكالية وإمام بكثير من النظريات في مختلف حقول المعرفة الدينية، وبتلك الميزات والصفات تفوق على زملائه في الدراسة الحوزوية، لذا سبقهم في الوصول الى درجة الاجتهاد عند بلوغه من العمر الواحد والثلاثين عاماً، وذلك عام ١٣٨٠ هـ/١٩٦٣ م، إذ حصل على الإجازة من أستاذ السيد الخوئي، وهو نادراً ما يمنح هذه الدرجة لطلابه، فضلاً عن أنه حصل على هذه الشهادة من أستاذه أيضاً، الشيخ الحلي الذي لم يمنح مثل هذه الدرجة إلا للسيد فقط<sup>(٤٧)</sup>.

اشتغل السيد السيستاني (دام ظلّه) في عام ١٣٨١ هـ/١٩٦٤ م في إلقاء محاضرات البحث

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

تصدى السيد السيستاني لتولى إدارة المرجعية الدينية بعد وفاة السيد الإمام الخوئي (قدس) عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، بعد أن كان هو المؤهل بكل الصفات العلمية والشخصية، فضلاً عن ذلك ما حصل على موافقة العلماء الأعلام ومنهم آية الله على البهشتي وآية الله الشيخ مرتضى البروجردي في اجازة الاجتهاد، وقلدته أعداد كبيرة من المؤمنين في العراق وإيران والخليج العربي والهند وباكستان، وعندئذ أصبح هو المرجع الأعلى للطائفة الشيعية الإمامية<sup>(٥٣)</sup>، ومنذ ذلك التاريخ والى اليوم ظل السيد السيستاني (دام ظله) صمام الأمان وملاذ العراق عندما تشتد الخطوب والأزمات.

ثالثاً: فتوى تحريم التبناك وفتوى الجهاد

الكفائي (١٨٩١-٢٠١٤)

- فتوى تحريم التبناك ١٨٩١ .

بعد الاعتراضات والاضطرابات التي شهدتها المدن الإيرانية وتفاقم الأمر الى اعتصامات ومواجهات بين الحكومة من جهة ورجال الدين وتجار البازار من جهة ثانية على اتفاقية التبناك، أرسلت البرقيات والرسائل من فئات الشعب الإيراني الى مقام المرجعية الدينية في سامراء طالبين التدخل في إنقاذهم من تداعيات هذه الاتفاقية، ومما يشار اليه أن المفكر الإسلامي جمال الدين الأفغاني التقى بالمجتهد السيد علي

في مواد الاستنباط فيقول في ذلك: "إن الفقيه لا يكون فقيهاً بالمعنى الأتم حتى يتوافر لديه خبرة وافية بكلام العرب وخطبهم وأشعارهم ومجازاتهم كي يكون قادراً على تشخيص ظهور النص تشخيصاً موضوعياً لا ذاتياً"<sup>(٥٠)</sup>.

عرف السيد السيستاني (دام ظله) بالعمق في التأليف وعرض الموضوعات، فله مؤلفات عديدة ورسائل وتقريرات، ومن كتبه: توضيح المسائل مطابق فتاوى حضرة آية الله، وفقه المغتربين، والميسر في الحج والعمرة، ومناسك الحج وملحقاته، والبحوث الأصولية، وكتاب الفقه وكتاب البيع والخيارات، ومنهاج الصالحين، وأكثر من (١٥) رسالة في الصلاة والقبلة والاجتهاد والتقليد وقاعدة لا ضرر ولا ضرار وغيرها من الرسائل<sup>(٥١)</sup>.

واجه السيد السيستاني (دام ظله) النظام البعثي بقوة وصلابة، فوقف بالضد من كل المحاولات لإخراجه من العراق، وظل في مدينة النجف، متواصلاً في إعطاء دروسه العلمية، وفي عام ١٤١١هـ/١٩٩٠م أيام الانتفاضة الشعبانية المباركة، اعتقلته قوات النظام مع مجموعة من العلماء منهم الشهيد مرتضى البروجردي والشهيد الميرزا علي الغروي وتعرضوا للضرب والعنف والاستجواب في فندق السلام ومعسكر الرزاة ومعتقل الرضوانية، الى أن أفرج الله عنهم ببركات أهل البيت عليهم السلام<sup>(٥٢)</sup>.

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

بوساطة نجل الشاه كاميران نائب السلطنة حاكم طهران ووزير الحربية، وفي الوقت ذاته أرسل نسخاً منها الى عدد من علماء إيران منهم الأغا النجفي وآخرين، بهدف تبصير الناس برأي المرجع الأعلى الذي يعد بحد ذاته المحرك الذي يوجب الانتفاضة في المدن الإيرانية وهو مصدر القوة التي يحتاجونها في المواجهة، وقد تضمن فحوى الرسالة النتائج السلبية لامتياز التبغ والتبناك، وفي الوقت ذاته أنتقد فيها انحرافات الحكومة الإيرانية وأخطائها ووصفها بأنها منقادة الى الأجنبي وهذا الأمر يعدّ خيانة للوطن، واقترح على الشاه إلغاء الامتياز والاعتذار للشركة<sup>(٥٧)</sup>.

رد الشاه على رسالة الميرزا الشيرازي بجواب بيّن فيه أسباب عقد الاتفاقية التي وصفها بأنها مشروعة، ونقل هذه الرسالة القنصل الإيراني في بغداد فحملها بنفسه الى الشيرازي في سامراء وحاول جاهداً إقناعه بمضمون ما ورد في رسالة الشاه<sup>(٥٨)</sup>، لكن الشيرازي كان مستوعباً كل الظروف التي تحيط بالأحداث في إيران وردّ بكلمات وصفت بالحكمة وبعد النظر.

أرسل الميرزا الشيرازي رسالته الثانية في أيلول عام ١٨٩١، وقد كان فيها أكثر صراحةً ووضوحاً، وبيّن الجوانب الاستعمارية لهذا الامتياز من النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية وحدّر من المفاصد المترتبة على تنفيذ

أكبر الشيرازي<sup>(٥٤)</sup>، أحد زعماء الانتفاضة الذي تسلل الى مدينة البصرة وأخبره بطبيعة الأوضاع المتدهورة التي تمر بها المدن الإيرانية وبالتعاون معه أرسلت رسالة الى السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي بينت فيها الأوضاع المضطربة في إيران، وما أن شاع خبر هذه الرسالة وبسبب مضمونها الذي يدعو الى التحريض بين الناس في العراق حتى سارعوا الى استنساخها وتوزيعها في أغلب المدن العراقية ولا سيما في مدن العتبات المقدسة، وكان لها تأثير كبير وعلى نحو خاص في مدينة النجف<sup>(٥٥)</sup>.

ويعلق الأمير شكيب أرسلان على رسالة السيد جمال الدين الأفغاني بالقول: "أن النداء الذي أرسله الأفغاني الى الإمام الشيرازي يعد من أعظم الأسباب لإعلان الفتوى ببطلان امتياز الاتفاقية البريطانية الإيرانية بشأن احتكار التبناك"، فرد السيد محسن الأمين العاملي على أرسلان بالقول: "ولكن الحقيقة أن الميرزا الشيرازي الذي أفتى بتحريم تدخين التبناك حينما بلغه إعطاء الامتياز قبل أن يرسل اليه الأفغاني هذه الرسالة، ولم يكن إفتاؤه بتأثير الرسالة المرسلة من الأفغاني"<sup>(٥٦)</sup>.

تدخل الميرزا محمد حسن الشيرازي لمعالجة الأوضاع التي تمر بها إيران فأرسل رسالة الى ناصر الدين شاه في التاسع عشر من شهر ذي الحجة ١٣٠٨هـ، الموافق ٢٦ تموز ١٨٩١م

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

الامتياز وجاء في نص الفتوى "بسم الله الرحمن الرحيم، اليوم استعمال التبناك والتبناك بأي نحو كان بمثابة الحرب على الإمام الحجة عجل الله فرجه"<sup>(٦١)</sup>.

قرأ خطباء المساجد فتوى الشيرازي من على المنابر، فانتشرت في كل مكان من إيران، وحصل الأمر على طاعة عامة، فأغلقت محلات بيع التبناك والتبناك أبوابها وحطمت وسائل التدخين وأدواته، ولم يقبل على التدخين أحد لا في داخل المدينة ولا في خارجها، بل هجر الدخان حتى في بيوت الشاه ورجال البلاط ودور السفارات<sup>(٦٢)</sup>.

استجابات المدن الإيرانية للفتوى وكانت مدينة شيراز في مقدمتها ولرجل الدين سيد علي أكبر خال أسيري دور واضح في متابعة تنفيذ الفتوى، وتطورت الأحداث في تبريز إذ أعلن الأهالي بقيادة رجل الدين ميرزا جواد آقا تبريزي بأنهم سوف يقتلون في يوم عاشوراء جميع الأجانب في المدينة إذا لم يتم إلغاء الامتياز، وتصدى في أصفهان للشركة الاحتكارية من رجال الدين آقا نجفي وشيخ محمد علي وملا باقر فشاركي<sup>(٦٣)</sup>.

لقد تركت فتوى الميرزا الشيرازي أثراً واضحاً في المجتمع الإيراني إذ امتنع عن التدخين حتى المدمنون الذين اتجهوا نحو تناول الفواكه واستخدام الشاي بدلاً من التبناك، ناهيك عن أولئك الذين اعتادوا شرب الخمر وتعاطي

الامتياز تلك التي ستكون أعظم بكثير من المفسد الناجمة عن صرف النظر والتخلي عنه وقال: "لقد أقدمت على كتابة الرسالة الى جنابكم وتعرضت فيها الى باب المفسد والتدخل الأجنبي في الأمور الداخلية لإيران، الا أنني لم أتسلم جواباً من أولياء الأمور في الدولة ويدل على أنها عازمة على القضاء على الفساد أو الالتفات اليه، وبما أن التغاضي عن هذا الأمر أو إهماله وعدم التصدي له يتنافى ورعاية حقوق الإسلام؛ لذا رأيت ان أكتب لكم ثانية موضعاً بأن الفساد (المرتتب على الفساد يعد مفسدة كبرى - فأبي مفسدة توازي مفسدة الإخلال بقوانين الأمة ومصادرة استقلال البلاد وتفرق كلمة الرعية)<sup>(٥٩)</sup>.

اتبع ناصر الدين شاه أسلوب المماطلة والتسويق مع الميرزا الشيرازي، وردّ على الرسالة الثانية بلغة منفعة ينتابها الغرور والتعالي، ممّا ولدّ قناعة لدى الميرزا الشيرازي بأن إقناع الشاه بإلغاء الامتياز أصبح أمراً ميئوساً منه، وهنا أدرك ان مسؤوليته الشرعية تستدعي إعلان المواجهة فأصدر الفتوى التي من شأنها ان تزلزل أركان النظام الحاكم وتحقق أهداف الشعب، فكانت فتوى تحريم التبناك والتبناك<sup>(٦٠)</sup>.

في ٣ كانون الأول ١٨٩١ وصلت الى طهران فتوى مفصلة من الميرزا الشيرازي تأمر الناس بعدم استعمال (الدخانيات) حتى يتم إلغاء

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

أدرك الشاه خطورة الموقف الذي ربما أصبح يهدد عرشه وأن الطريق قد أغلق أمام المناورات التي قامت بها السلطات الحكومية بسبب شدة الضغط الجماهيري، لذا اضطرت الحكومة الى الإعلان رسمياً عن إلغاء الامتياز في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٢، بعد أن تيقنت من أن استمرار العمل بالامتياز أمر مستحيل وبهذا الإعلان انتهت المواجهات بين المعارضة والحكومة الإيرانية بعد مقاومة استمرت (٥٥) يوماً كان ثمرتها الاعتراف بمطالب المعارضة الإيرانية<sup>(٦٨)</sup>، وفي اليوم التالي لإصدار الإلغاء أعلن رجل الدين الميزرا حسن اشثياني في بيان موجه الى الشعب الإيراني بضرورة عودة الناس الى مزاوله أعمالهم الاعتيادية بعد ان تحققت مطالبهم بإلغاء امتياز التبناك<sup>(٦٩)</sup>.

### - فتوى الجهاد الكفائي<sup>(٧٠)</sup> ٢٠١٤.

كان للمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف رؤيتها العميقة وقراءتها الدقيقة لطبيعة المشهد الأمني في البلاد بعد ما آلت اليه الأمور من اجتياح عصابات داعش مدينة الموصل في العاشر من حزيران عام ٢٠١٤، وتمدها باتجاه المدن العراقية الأخرى، فقد شخصت الواقع الذي تعيشه المؤسسة العسكرية العراقية من حيث تعدد الولاءات وانتشار الفساد وغياب العقيدة القتالية، لذا فإن تردي أوضاع البلد بمستوياتها المختلفة وضعف المؤسسة العسكرية في مقابل

المسكرات، فمن الغريب أنهم كانوا أول من بدأ بتحطيم أدوات النركيلة وأجهزة التدخين وبهذا لم يشاهد أحد أي دخان يتصاعد من نركيلة أو سيكارة في المدن الإيرانية المختلفة<sup>(٦٤)</sup>.

كان وقع تأثير هذه الفتوى على رجال السلطة كبيراً ومؤثراً إذ شلَّ حركتهم وزرع الرعب في نفوسهم ويعبر اعتماد السلطنة عن ذلك بقوله: "وعندما خرجت لم أكن أتوقع بأن مسألة استعمال التبغ والتبناك بهذه الدرجة من الشدة إذ إن بقية السيكارة التي كنت أدخنها عندما كنت في منزل فوريه كانت ما تزال في فمي وعندما خرجت من المنزل، وفي هذه الأثناء مر شخص مهيب وقور يرتدي قبعة خز، وبمجرد أن لمحني أدخن أخذ يشتمني"<sup>(٦٥)</sup>، وهكذا فإن هذه الفتوى استطاعت أن تقلب النظام وأن تخلق جبهة معارضة كبيرة شملت معظم أرجاء إيران<sup>(٦٦)</sup>، وتزعّم هذه الجبهة رجال الدين والمؤسسة الاقتصادية (البازار)، لذا وجدت الحكومة نفسها في مواجهة صعبة مع البازاريين في المدن المختلفة ولا سيما في العاصمة طهران يوم ٤ كانون الثاني ١٨٩٢ إذ عملوا على إغلاق المحلات والأسواق وتوجهوا الى القصر الملكي وقد أشيع أنهم يريدون الاستيلاء على دار أمين السلطان (الصدر الأعظم) فأمر الشاه ابنه الميزرا كاميران نائب السلطنة بتهدئة الجماهير الغاضبة ولكن دون جدوى<sup>(٦٧)</sup>.



## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا تخص طائفة دون أخرى، وأن التحدي وإن كان كبيراً، إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة أكبر من التحديات والمخاطر، فإن المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا ومقدساتنا من المخاطر، وتوفير حافزاً لنا من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته، ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة في مثل هذه الظروف أن يدبّ الخوف والإحباط في نفس أي واحد منهم، بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لمزيد من العطاء لحفظ البلد ومقدساته، وأن على القيادة السياسية مسؤولية تاريخية وشرعية، وترك الخلافات والتناحر وتوحيد المواقف، وأما قواتنا المسلحة أنتم أمام مسؤولية تاريخية وشرعية وليكن دافعكم هو الدفاع عن حرمان العراق وصيانة المقدسات ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح، وعليكم بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وأن من يضحى منكم بنفسه يكون شهيداً إن شاء الله<sup>(٧٣)</sup>، وجاء في الفتوى أيضاً "إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن وأهله وأعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي، بمعنى أن من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يحقق الغرض ويحفظ العراق،

شراسة الهجمة المعادية يدعو الى الشك في إمكانية الدولة وقدرتها على حفظ الأمن والوقوف بوجه الإرهاب وصدّه، ولا سيما ان هناك معارك في الأفق تكون غير تقليدية، وفي ظل ظروف صعبة ومعقدة، لذا فإن أمر إشراك المجتمع العراقي أمر مطلوب<sup>(٧١)</sup>.

وجدت المرجعية ان تنظيم داعش الإرهابي يجب أن يكبح بشكل سريع وإلا فانه سيستمر في التمدد ومن ثم تصبح المعالجة معقدة، ولا سيما ان أهدافه وتطلعاته التي طالما تبجح بإعلانها هي الوصول الى بغداد والمدن المقدسة؛ لذا فإن الشعب العراقي هو الأولى بالدفاع عن بلده من الآخرين، ومن الخطأ الاعتماد او التعويل على القوى الخارجية بما كانت تطرحه من شعارات وادعاءات ولا سيما ان بعض الجهات الخارجية تحوم حولها الشبهات وهي متهمة بدعم الإرهاب والعصابات التكفيرية<sup>(٧٢)</sup>.

جاءت فتوى المرجعية الدينية التي أطلقها السيد السيستاني (دام ظله) في خطبة يوم الجمعة الأسبوعية في الصحن الحسيني الشريف وعلى لسان معتمد المرجعية ووكيلها الشيخ عبد المهدي الكربلائي وقد جاء نص الفتوى: "إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطيراً وان الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين، بل صرّحوا بأنهم يستهدفون كل العراقيين، وأن مسؤولية

## فتوى المرجعية من تحريم التبتاك الى الجهاد الكفائي

بعد ان استعرضت الدراسة في محاورها السابقة ظروف إصدار الفتوى ومستوى التعاطي معها، وهنا نلخص بيان أهم تلك النتائج و المعطيات وهي الآتية:

أولاً: تعزيز الاندفاع العقائدي للجهاد، إذ إن هذه الصفة، كانت حاضرة بين فتوى التبتاك عام ١٨٩١ وفتوى الجهاد الكفائي عام ٢٠١٤ على الرغم من الفارق المكاني إذ انطلقت الأولى من مدينة سامراء مدينة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) وانطلقت الثانية من مدينة النجف الأشرف مدينة أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثانياً: بعد النظر في قراءة الأحداث وتحليلها والوصول الى أن القرار الحاسم والإجراء المناسب هو إصدار الفتوى، وهذا ما حصل واقعاً على الرغم من اختلاف العلل والمسببات في بعديهما الاقتصادي والأمني.

ثالثاً: التقارب والتنسيق بين المكونات الاجتماعية، إذ أن فتوى التبتاك خلقت تجربة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة بين فئات المجتمع؛ لذا حصل التحالف بين المؤسسة الدينية والاقتصادية وكان على أعلى المستويات في التخطيط والتنسيق وإعداد البرامج الموجهة، أما فتوى الجهاد الكفائي فكانت عامل توحيد المواقف والاتجاهات إذ انها وجهت الى عموم الشعب العراقي ولم توجه الى طائفة أو فئة محددة، لذا كانت الاستجابة واسعة وتخطت

وعلى المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح دفاعاً عن بلدهم ومقدساتهم التطوع والانخراط في القوات الأمنية للغرض المقدس، وأن الكثير من الضباط أبلوا بلاءاً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات والمطلوب تكريمهم لينالوا استحقاقهم وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم<sup>(٧٤)</sup>.

وبعد إعلان الفتوى بالجهاد هب الآلاف من العراقيين لنداء المرجعية من محافظات بغداد وميسان والبصرة وكرلاء والنجف وبابل وذي قار وواسط والمحافظات الأخرى للتطوع في صفوف الجيش العراقي، وقد كان ذلك هو البداية الحقيقية لإعلان تأسيس تشكيلات الحشد الشعبي المبارك، التي عبرت عن إرادة قوية واستعداد عال للتضحية في سبيل الوطن والمقدسات والعمل في إطار القانون وبإشراف الدولة، بعد أن شاركت فيه كل أطراف العراق ومكوناته، وبذلك أصبح هذا الحشد رقماً صعباً ومؤثراً في ميدان المواجهة مع تنظيم داعش الإرهابي فجاءت ملامحه وبطولاته في جرف النصر وحزام بغداد وناحية العظيم والضلوعية وبلد وأمري وأخيراً في تحرير محافظة صلاح الدين<sup>(٧٥)</sup>.

وسيكون الموعد في تحرير محافظة الانبار ومن بعدها الموصل بأذن الله.

رابعاً: فتوى المرجعية النتائج والمعطيات.

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

البلدين إيران والعراق، فقد كان رجال الدين والعلماء الأعلام والتجار (في البازار) والنساء والشيوخ، وهذا ما حصل اليوم في صفوف الحشد الشعبي المقدس فقد ضم الرجل الثمانيني والشاب في الخامسة عشرة والأستاذ الجامعي والطالب والفلاح والمرأة، كل حسب موقعه وقدرته وبما يتناسب مع الجهاد عن الوطن والمقدسات.

**سابعاً:** الإدارة وحسن التنظيم، إذ أظهرت الفتوى الحاجة الى تنظيم الادوار وتحديد مستوى الفعاليات وهو أمر ضروري في الوصول الى النتائج الحاسمة، وإن سوء التخطيط يؤدي الى نتائج عكسية حاضراً ومستقبلاً، لذا فأن عمل الحشد الشعبي وتحويله الى مؤسسة منظمة لها حدودها وأنظمتها هي خطوة في الاتجاه الصحيح، وهذا ما حصل اليوم من خلال إصدار التشريعات وتحديد المستحقات المالية عن طريق تخصيص جزء من موارد الميزانية العامة للدولة الى هذا الحشد لإدامة فعالياته الجهادية وتواصلها.

حدودها المكانية، وأخطأ من يتصور أنها كانت موجهة الى الطائفة الشيعية فقط على الرغم من أن هذه الطائفة كانت في مقدمة المستجيبين للفتوى.

**رابعاً:** القدرة على توظيف الإمكانيات والطاقات في حدود المواجهة، وبالتالي التغير في معادلة المواجهة من الركود والاستسلام الى واجهة القوة والتحدي ورفع المعنويات، والإيمان بأن النصر والظفر هما حليفا المجاهدين عن طريق الحق والمبادئ السامية.

**خامساً:** لقد رسمت فتوى المرجعية خارطة طريق لتوجيه مسار العمل في إدارة المواجهة، من خلال وضع الآليات والخطط التنفيذية، وعند ذلك تحققت النتائج الملموسة على أرض الواقع، إذ ألزمت فتوى التبناك على إلغاء الامتياز وانسحاب الشركة البريطانية، وحققت فتوى الجهاد الكفائي إبعاد خطر الدواعش التكفيريين عن العاصمة بغداد وحفظ الأماكن المقدسة.

**سادساً:** حدود المسؤولية الجهادية، إذ شهدت الفتوى استجابة كبيرة من فئات الشعب لكلا

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي .....

### الهوامش والمصادر

(١١) خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة التبغ والتبناك ١٨٩٠ - ١٨٩٢، دراسة في السياسة الداخلية، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩، ص ١٢٣.

(١٢) إبراهيم الحيدري، سوسولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٧٣.

(١٣) لمزيد من التفاصيل عن تنظيم داعش وأهدافه وخططه، ينظر، هشام الهاشمي، عالم داعش، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٥.

(١٤) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(١٥) بعد تحريرها على أيدي قواتنا الباسلة وأبناء العشائر والحشد الشعبي، تغيير اسم الناحية من جرف الصخر الى جرف النصر.

(١٦) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(١٧) سقوط الموصل على موقع الموسوعة الحرة على الرابط الآتي:

<https://ar-wikipedia.org>

(١٨) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) منظمة هيومن رايتس ووتش Humam Rights Watch وهي المنظمة المعنية بمراقبة حقوق الإنسان، دولية غير حكومية، مقرها في نيويورك تأسست عام ١٩٧٨ للتحقق من أن الاتحاد السوفيتي يحترم اتفاقيات هلسنكي ومن أهدافها الدفاع عن حرية الفكر والتعبير والسعي لإقامة العدل والمساواة في الحماية القانونية وبناء المجتمع المدني القوي ومحاسبة الحكومات التي تنتهك حقوق الانسان، ينظر، الموسوعة الحرة، الويكيبيديا على الرابط الآتي:

<https://ar-wikipedia.org>

(٢١) إبراهيم الحيدري، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(١) ناصر الدين شاه (١٦ تموز ١٨٣١ - ١ مايس ١٨٩٦) تاريخ توليه العرش (١٨٤٨ - ١٨٩٦)، بلغت مدة حكمه (٤٨) عاماً، شهدت إيران في عهده العديد من الأزمات المالية والاقتصادية التي أدت الى تزايد نفوذ الدول الكبرى في إيران ولا سيما بريطانيا وروسيا، وحاول إجراء بعض الإصلاحات إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها، للمزيد من التفاصيل عن سيرته ودوره السياسي، ينظر، علي خضير عباس المشايخي، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ - ١٨٩٦ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، أيلول ١٩٨٧.

(2) Ann Lambton, "Persian Society Under Qajans" Journal of the Royal Central Asian Society, Vol,48, 1961, p.123.

(٣) إبراهيم تيمور، عصر بي خبري بتاريخ امتيازات در إيران، تهران، ١٣٣٢هـ، ص ٨.

(٤) أبو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي إيران وانكليس، جلد دوم، ص ٥٢٥.

(٥) علي خضير المشايخي، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

(٦) خضير مظلوم البديري، الدور السياسي للبارازار في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١، دار المعارف للطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٨٠.

(7) H.Algar, Religion and State in Iran 1785- 1906 Berkely and Los Angeles, 1960, p207.

(٨) خضير مظلوم البديري، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٩) خضير مظلوم البديري، إيران في السياسة البريطانية ١٨٩٦ - ١٩٢١، دار المعارف للطبوعات، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٠٦.

(10) H.Algar, op.cit, p.209.

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي .....

والمجتهدين والشيخ الأعظم، عرف بالدقة وبعد النظر، ومن أبرز مؤلفاته (الرسائل والمكاسب) فهو مصدر رئيس لطلبة الدراسات الحوزوية، ضرب به المثل في الزهد والتقوى توفي عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م ودفن في مقبرة السلام في النجف الأشرف، لمزيد من التفاصيل ينظر: سامي ناظم حسين المنصوري، آية الله الشيخ مرتضى الأنصاري حياته وعصره وآثاره ١٨٠٠ - ١٨٦٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، ٢٠٠٥.

(٣١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء الجياجي النجفي ولد في مدينة النجف واليه يرجع النسب الذي عرف فيه (النجفي) ولد عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م في النجف، لقب بكاشف الغطاء نسبة الى مؤلفه المعروف كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، وصار يلقب به وأسرته من بعده، له مؤلفات أخرى منها مختصر كشف الغطاء، وغاية المأمول في علم الأصول، وغاية المراد في أحكام الاجتهاد، توفي في مدينة النجف عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م، لمزيد من التفاصيل ينظر، عادل مدلول علي الموسوي، الشيخ جعفر كاشف الغطاء ودوره الفكري والسياسي في العراق ١٧٤٣ - ١٨١٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، ٢٠٠٦.

(٣٢) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٣٣) آقا بزرك طهراني، منبع قبلي، ٢٤١.

(٣٤) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٣٥) مركز الإمام الشيرازي للدراسات الاستراتيجية على الرابط الآتي:

www.s-alshirazi.com

(٣٦) محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، د.ت، ص ١٠٣.

(٣٧) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٣٨) جريدة الهدى، على الرابط التالي:

www.al-hodaonline.com

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٢٥) سيتم تناولها تفصيلاً في سياق الفقرة الثالثة من هذه الدراسة.

(٢٦) لمزيد من التفاصيل عن سيرته ونشاطه الفكري ينظر: شيخ آقا بزرك تهراني، ميرزا شيرازي، انتشارات وزارت إرشاد إسلامي، تهرن، ١٣٦٣، ص ٢٤٠؛ مؤسسة الأنوار الثقافية على الرابط الآتي:

www.alanwar14.com

(٢٧) آقا بزرك تهراني، منبع قبلي، ص ٢٤١.

(٢٨) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٢٩) الشيخ محمد حسن النجفي الأصفهاني العاملي (صاحب الجواهر)، ولد في مدينة النجف عام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م في دار والده قرب الصحن الحيدري الشريف، عرف عنه البراعة في البيان وغازة علمه وثاقب فكره، مواكب على مواصلة العلم والتدريس، كان مجلسه يضم أكثر من (٦٠) مجتهداً، كتابه ذائع الصيت جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام، يعدّ مصدراً مهماً في الدراسات الحوزوية ومنه جاء لقبه صاحب الجواهر، توفي في شهر شعبان عام ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٥٠م ودفن في مقبرته المجاورة لمسجده المعروف في مدينة النجف، لمزيد من التفاصيل يراجع، قاسم مهدي حمزة، الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ودوره الفكري والاجتماعي ١٧٧٨ - ١٨٥٠ أطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠٠٧.

(٣٠) الشيخ مرتضى الأنصاري، ولد في مدينة ديزفول في إقليم خوزستان جنوب غرب إيران عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م، وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري، تسلم أمر المرجعية بعد الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، لقب بخاتم الفقهاء

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي

والتفسير واللغة والأدب، توفي في مدينة النجف عام ١٣٩٣ هـ الموافق ١٩٧٣م، لمزيد من التفاصيل ينظر، حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ علماء النجف، ج٩، ط١، المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، قم المقدسة، ١٣٨٧هـ، ص١٨٨.

(٤٧) موقع سماحة المرجع الأعلى على الرابط الآتي:

www.sistani.org

(٤٨) محمد حسين الصغير، المصدر السابق،

ص٣٤١.

(٤٩) موقع المرجع السيستاني، المصدر السابق.

(٥٠) المصدر نفسه.

(٥١) الموسوعة الحرة الويكيبيديا على الرابط الآتي:

https://ar-wikipedia.org

(٥٢) موقع المرجع السيستاني، المصدر السابق.

(٥٣) المصدر نفسه؛ محمد حسين الصغير، المصدر

السابق، ص٣٤١.

(٥٤) علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق،

ص٣٠٩.

(٥٥) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة

التبناك، ص١٢٤.

(٥٨) علي الورد، لمحات اجتماعية، ج٣، ص٩٤.

(٥٩) خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة

التبناك، ص١٢٧.

(٦٠) شيخ آقا بزرك تهراني، ميرزا شيرازي، ص٢٥٢؛

E.G.Browne, the Persia Revolution 1905-

1909, New Impression, London, 1966,

p.15.

(٦١) ينظر نص الفتوى التي أطلقها السيد الشيرازي في

المصادر الآتية، شيخ حسن أصفهاني كربلائي، تاريخ

(٣٩) علي الورد، لمحات اجتماعية في تاريخ العراق

الحديث، ج٣، ١٨٧٦-١٩١٤، ص٨٨.

(٤٠) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٤١) آقا بزرك تهراني، منبع قبلي، ث٢٤٢.

(٤٢) مؤسسة الأنوار الثقافية، المصدر السابق.

(٤٣) محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة. تحقيق

واخراج حسن الامين ، مجلد ٩ ، ج ٤٢ ، دار التعارف

للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص١٧٢ .

(٤٤) ينظر السيرة الذاتية للسيد السيستاني على موقع

سماحة المرجع الديني الاعلى علي السيستاني على

الرابط الآتي:

www.sistani.org

(٤٥) السيد أبو القاسم علي بن أكبر بن هاشم الموسوي

الخوانساري، ولد في ١٥ رجب ١٣١٧ هـ الموافق ١٩ تشرين

الثاني ١٨٩٩ في مدينة (خوي) من أعمال أذربيجان من

أسرة عربية أمماً وأباً، هاجر مع أبيه الى النجف الأشرف

للدراة الحوزوية، وأقام بها أكثر من ثمانين عاماً، توفي

في الكوفة في ٨ صفر عام ١٤١٣ هـ الموافق ٩ آب

١٩٩٢، ودفن في النجف الأشرف، للتفاصيل عن سيرته

ينظر، محمد حسين الصغير، أساطين المرجعية العليا

في النجف الأشرف، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة

والنشر، بئر لبنان، ٢٠١١، ص٢٦٥؛ أحمد الواسطي،

سيرة وحياة الإمام الخوئي، مطبعة دار الهادي، بيروت،

١٩٩٨، ص١١.

(٤٦) هو الشيخ حسين بن الحسين الحلبي النجفي ولد

عام ١٨٩٢ في مدينة النجف الأشرف ودرس الفقه

والأصول والعلوم العقلية، يعد من أساطين المرجعية

الدينية في النجف في النصف الأول من القرن العشرين،

تخرج على يده كثير من العلماء الأعلام، له مؤلفات

مخطوطة ومطبوعة، ومنها رسالة الأجر على الواجبات

ورسالة الوضع ومسائل فقيه عديدة في الفقه والأصول

## فتوى المرجعية من تحريم التبناك الى الجهاد الكفائي .....

(٦٩) ناظم الإسلام كرمانى، منبع قبلى، ص ١٣.  
(٧٠) الجهاد الكفائي: وهو الجهاد الذي يؤديه جماعة من المسلمين ويسقط عن الباقيين، ولا يلزم منه أن يخرج جميع المسلمين للجهاد وينطبق على هذا النوع من الجهاد كل معركة يكلف فيها الحاكم عدداً من المسلمين للمشاركة بدون أن تتعين المشاركة على الجميع، ينظر موسوعة الاسلام على الرابط الآتي:

www.al-islam.com

(٧١) عادل الجبوري، فتوى الجهاد الكفائي والرؤية العميقة للمرجعية الدينية، مقال متاح على الرابط الآتي:

Aletejah tv.org

(٧٢) المصدر نفسه.

(٧٣) ينظر المقال السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي ويعد قتل الوطن شهداء، على الرابط عراق القانون،

www.qanon302.net

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) الاتجاه برس على الرابط الآتي:

Aletejah tv.org

دخانية يا تاريخ وقابع تحريم تتابكو، انتشارات دفتر نشر الهادي، تهران، ١٣٧٧، ص ١١٨؛ ناظم الإسلام كرمانى، تاريخ بيداري إيرانيان، جلد دوم، تهران، ١٣٢٤، ص ١٢.

(٦٢) علي خضير عباس المشايخي، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٦٣) حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، ج ٣، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٧٠.

(٦٤) خضير مظلوم البديري، إيران في ظل انتفاضة التبناك، ص ١٤٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٦٦) صباح مهدي رميض، المؤسسة الدينية والتطورات السياسية في إيران خلال عهد رضا شاه ١٩٢٥-١٩٤١، سلسلة محاضرات أقيمت على طلبية مرحلة الدكتوراه تاريخ حديث كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، للعام الدراسي ٢٠١٥، ص ٣.

(٦٧) خضير مظلوم البديري، الدور السياسي للبارز، ص ٩٠.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٩٠.

**Abstract**

**Historical similarities between Fatwa of Shiite supreme clergymen to prohibit Tobacco (Tenpak) to Sufficiency Jihad.**

The study historically analyzes the similarities between the Fatwa of Tobacco (Tenpak) of the supreme Shiite clergyman Mohammed Hassan Shirazi in 1891, and the Fatwa of Sistani of "Sufficiency Jihad" in 2014 to face the Takfiris extremist of The Islamic State of Iraq and Levant ISIL.

The study thesis is based on the following questions:

- 1- The benefit of the Fatwa of the supreme clergymen to deal with and solve political, economic and security crisis.
- 2- The results and the dimensions of both Fatwas.
3. The similarities between the Fatwa of Tobacco (Tenpak) in 1891 and the Fatwa of Sistani of Sufficiency Jihad in 2014 within the current events in Iraq and Iran.